

مشاركة المرأة الأندلسية
في الحياة الأدبية والعلمية في عهد المرابطين
479هـ/1086م/1145م

بقلم د/محمد الأمين بلغيث*

أولاً: **دولة المرابطين الدعوة و التكوين:**

تكونت دولة المرابطين في الطرف الغربي الجنوبي من إفريقيا الغربية، بداية من سنة 429هـ/1037م وهي بداية التاريخ الكرونولوجي المؤسس لجيل المرابطين إلى غاية تأسيس عاصمة جديدة مراكش سنة 462هـ/1070م حيث بدأت مرحلة ثانية من التوسع نحو الشمال للقضاء على دويلات الطوائف المغربية و وصلت في نهاية 484هـ/1091م إلى توحيد المنطقة الواقعة ما بين بجاية شرقاً إلى ساحل المحيط غرباً ومن شمال جبال البرانس شمالاً إلى الجنوب غرب تمبوكتو وكومي صالح جنوباً وقد بلغت أقصى اتساعها في الجنوب الشرقي إلى شمال غرب تشاد قريبا من الحدود الليبية الحالية كما جاء في آخر الدراسات.

والدولة المرابطية تكونت في منطقة صحراوية هامة في العلاقات بين الصحراء الغربية والشمال الغربي للبحر الأبيض المتوسط وهي المرحلة الحساسة التي اشتد فيها الصراع على المواد الأولية المعدنية كالذهب والفضة وغيرها من النفائس وكذلك التنافس على الملح الطبيعي والمعدني وجميع أنواع النفائس المعروفة في إفريقيا الغربية.

*كلية أصول الدين، جامعة الجزائر، الجزائر

والدعوة المرابطية دعوة قائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قام بها الداعية عبد الله بن ياسين مهدي المرابطين كما يلقبه القدماء حيث قامت هذه الدعوة في مرحلة التكوين بتكوين جماعة مؤمنة برسالة الفقيه المالكي سالف الذكر، و يمكن تقسيم مرحلة التكوين إلى مرحلتين:

1- فترة التكوين المذهبي والعسكري في مؤسسة الرباط التي كونها الداعية المصلح و يمكن أن نحدد مرحلة التكوين المذهبي والعسكري في مدة زمنية ما بين سبعة إلى اثني عشر سنة، وهي مدة كانت كافية لتكوين ما يزيد عن ثلاثة آلاف مرابط تكويناً مذهبياً وعسكرياً.

2- مرحلة تطبيق تعاليم عبد الله بن ياسين: بدأت هذه الفترة بخروج المثلثين من عزلتهم في أقصى الجنوب الغربي من موريطانيا الحالية وأصبحوا على حد تعبير أحد المؤرخين "آلة حرب".

وقد بدأت "آلة الحرب" عملها من خلال توحيد قبائل غمارة و نكور لتصل إلى طنجة وتوحيد المغرب الأقصى بعد القضاء على الشيعة البجلية وعلى دولة برغواطة في تامسنا إنهاء ممالك المغرب الأقصى، وبعد ذلك اتجهت القوات المرابطية شرقاً فتمكنت من السيطرة على تلمسان (473هـ/1079م) و وهران والجزائر العاصمة بل وصلت إلى حدود بجاية وفي هذه اللحظة توغل في المغرب الأوسط حتى بلغ وهران كما سلف وجبال ونشريس وعقب ذلك استسلمت القبائل الأخرى صفوياً دون أن يخوض في ذلك غزوة أو يتجشم فيه مشقة فخلا الجو للمرابطين للتفكير في فتح الأندلس التي تمت لهم بعد معركة الزلاقة الشهيرة في رجب 479هـ/ماي 1086م.

ثانياً: دولة المرابطين ومرحلة السقوط

لا توجد دولة في فضاء التاريخ الإسلامي قد لقيت من الإجحاف والنسيان كدولتي الأمويين والمرابطين لسبب بسيط، هو أن الدولتين من ضحايا دول مذهبية قوية فالدولة العباسية التي أسقطت دولة الأمويين استطاعت طمس تاريخ بني أمية وكتبت تاريخهم كما يحلو للمؤرخ الرسمي العباسي، كما أن دولة المرابطين كانت ضحية لدعوة أعلنت الحرب النفسية على المرابطين فكفرتهم

وحملتهم أوزار كل مآسي الغرب الإسلامي مع العلم وللحقيقة التاريخية أن أجيال المرابطين من عصبية ملتونة ومسوفة وجدالة قد ضحوا بكل طاقاتهم البشرية من أجل حماية الأندلس وحدها التي كانت على وشك السقوط مبكرًا في يد دعاة الاسترداد المسيحي للمنطقة وقد قدر لهذه الدولة حماية الغرب الإسلامي طيلة خمسة قرون كاملة إلا أن المدرسة الإستشراقية التي صنعت تاريخ المنطقة قد وجدت المادة الأدبية الموحدية جاهزة لتشويه تاريخ المنطقة تشويهاً يصعب إصلاح ما أفسدته أيدي هؤلاء أمام الدعاية الموحدية القوية.

انتهت الدولة المرابطية بسقوط مراكش سنة 541هـ/1147م في يوم مراكش الحزين، ولا يتحدث المؤرخون عن وكلائهم (بني غانية) على جزر البليار إلا في إطار الصراع داخل الدولة الموحدية.

ثالثاً: مشاركة المرأة الأندلسية

لقد شاركت نساء المرابطين في مجالات عدة، ومنها المجالات العلمية والأدبية، وقد برزت فيهن زينب بنت إسحاق النفاوية التي كانت بنت تاجر كبير من القيروان، نشأت في جو متحضر، فاكسبت الدهاء والكياسة والحنكة مما جعلها تتفوق على الرجال وتفرض شخصيتها ونفوذها في شؤون السياسة والحكم، وهو ما عبر عنه ابن الأثير بقوله: "وكانت من أحسن النساء ولها الحكم في بلاده"⁽¹⁾، فولدت زينب ليوسف بن تاشفين ولدًا عام 462هـ/1070م اسمه المعز بالله؛ فقد أدت زينب دور مستشار يوسف بن تاشفين الذي امتثل لنصائحها، وكلما بدت له مشكلة أو اعتورته صعوبة لجأ إليها لتقدم له المشورة والحل الممكن. وذكر أن القاضي أبا محمد عبد العزيز السوسي الصوفي قد امتحن على يديها وسبق إليها مكبلاً؛ وكان لها عزم وحزم⁽²⁾ وكان القاضي له أدب فبلغ زينب أنه مدح حواء امرأة الأمير سير بن أبي بكر، وفضلها على سائر النساء بالجمال والكمال، فأمرت بعزله عن القضاء فوصل إلى أعماق واستأذن عليها فدخل الباب وأعلمها به

خادمها فقالت له: قل له أمض إلى التي مدحتها تردك إلى القضاء؛ والقصة تدل على مكانتها في السلطة السياسية العليا باعتراف يوسف بن تاشفين كما سلف أن ذكرنا، كما اتخذت لها كاتبًا أندلسيًا نبيها هو عبد الرحمن بن أسباط (487هـ/1094م) وهو الذي أشار على يوسف قبول مساعدة ملوك الطوائف بشرط أن يسلمه المعتمد بن عباد الجزيرة الخضراء ليجعل فيها جنده وسلاحه وكبار مستشاريه وثقاته⁽³⁾.

إن النصوص الخاصة بتعليم المرأة المرابطية بالمغرب والأندلس شحيحة ومقتضبة، يشوبها الغموض وعدم الوضوح في غالب الأحيان، والراجح أن حضور النساء مجالس العلم كان أمرًا مألوفًا في المجتمعات الإسلامية في العصر الوسيط؛ غير أن ما أصاب دولة المرابطين من ضياع كتب مؤرخيها وكبار أعلامها هو من أسباب غياب الصورة الكاملة لنشاط المرأة في الغرب الإسلامي الثقافي والتعليمي في المدينة والريف⁽⁴⁾. لم يكتب تاريخ الدولة المرابطية إلا في عصور الموحدين ومن جاء بعدهم وقد كان محمد بن تومرت-مهدي الموحدين- قد شَنَّ عليهم حملةً عنيفة لم تدع لهم فضلا إلا أتت عليه، فقد كان الرجل داعية موهوبًا ذكيًا طامعًا في الدولة من أول الأمر، فأتى للناس من ناحية العقيدة ورمى المرابطين بالتجسيم والكفر والمروق عن الدين كما سبق أن أشرنا إلى ذلك، وانتهز ظاهرة انتساب بعض المرابطين إلى أمهاتهم-جريا على عادة لمتونية قديمة- فأوهم الناس أن النساء غالبات على أمور المرابطين، واستقرت هذه الدعوة في أذهان الناس⁽⁵⁾ حتى قال عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب وهو كاتب موحدي: "واستولى النساء على الأحوال، وأسندت إليهن الأمور، وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشيرير وقاطع سبيل، وصاحب خمر ومأجور، وأمير المسلمين في ذلك كله يتزيد تغافله، ويقوى ضعفه؛ وقنع باسم إمرة المسلمين"⁽⁶⁾.

كان التعليم وانتشار حب العلم والمعرفة وجمع الكتب ونسخها، ظاهرة معروفة في عهد المرابطين كما يشير إليها الدارسون⁽⁷⁾، ولم يقتصر العلم والتعليم على الرجال على الأقل في الأوساط الثرية والسادة من القبائل الصنهاجية (لمتونة وجدالة ومسوفة وملطة) والذين استأثروا بالوظائف السلطانية والأموال الكثيرة، وهم يشكلون بالأندلس طبقة متميزة بمساكنهم وقصورهم ولباسهم، كما أشار إلى ذلك المؤرخون وكتب الحسبة⁽⁸⁾، والعائلات الوجيعة اللمتونية والأندلسية قد عرفت علامات أدبيات من طراز عال ومن هؤلاء الحرائر، فقد كانت **مريم بنت إبراهيم المرادي** من أهل الذكاء والنبيل، ذات خط بارع وقريحة جيدة كما أشار إلى ذلك لسان الدين بن الخطيب، توفيت **مريم** عام **545هـ/1150م**⁽⁹⁾. أما **خديجة بنت الفقيه أبي علي الصدي** شهيد موقعة **كندة** (**514هـ/1120م**) فكانت تحفظ القرآن وتقوم عليه وتذكر كثيراً من الحديث في الأدعية، إلى جانب اهتمامها بمطالعة الكتب، تزوجها صاحب الصلاة بمرسية **عبد الله بن موسى بن برطلة**، فأنجبت له **أبا بكر عبد الرحمن**، عمرت طويلاً إلى أن تجاوزت الثمانين، وتوفيت بعد انصرام سنة (**590هـ/1194م**)⁽¹⁰⁾. كما كانت **أم الهناء بنت القاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية** ذات شأن في حلقات العلم فقد كانت " من أهل الفهم والعقل حاضرة النادرة، سريعة التمثل، لها تأليف في القبور وآخر في الأدعية، وأورد هذه الكنية (أم الهناء) المقري التلمساني من غير اسم، في حين أكد ابن عبد الملك المراكشي بأن اسمها هو **أمة الرحمن** وكنيتها **أم هاني** معتمداً في ذلك على ما وجدته في تأليف لها في الأدعية وقف عليه بنفسه، ولقد كانت **أمة الرحمن** أو **أم الهناء** مثال المرأة الأندلسية المثقفة، حيث تميزت بالصلاح والعفة، فهي من بيت دين وعلم وكانت صاحبة عقل راجح⁽¹¹⁾. يقول عنها **المقري التلمساني**⁽¹²⁾ إنه لما ولي أبوها قضاء **المرية** دخل داره وعيناه تذرّفان وجدّاً لمفارقة وطنه، فأنشده متمثلة:

يا عينُ صار الدمعُ عادةً*** تبكين في فرح و في أحزان.

وساهمت النساء كذلك في مجالس العلم، فروين الحديث وقرآن على الشيوخ، رغم شيوع فكرة بعض المربين أن البنت لها نمط مختلف عن الولد في التربية والتعليم، حيث يقول نصير الدين الطوسي: ينبغي منعهن من تعلم القراءة والكتابة وكل الفنون التي لا تكون محمودة من النساء، ويجب تزويجهن بالكفو، عندما يصلن لسنّ البلوغ⁽¹³⁾ ومهما كان موقف الغزالي ونصر الدين الطوسي من تربية البنات تتردد عدة أسماء لامعة مثل طونة بنت عبد العزيز التي أخذت عن أبي عمر بن عبد البر (حافظ المغرب والأندلس) كثيراً من كتبه وتوالياه، وعن العذري الدلائي ثم زوجها نفسه، كما يتردد اسم امرأة اسمها ریحانة قرأت على يد أبي عمر المقرئ، وحضرت مجالسه، واشتهرت بعض النساء بمهارتهن في الكتابة ونسخ المصاحف والكتب الخاصة بالفقه وعلوم أخرى ويعتبرها إلى الوراقين⁽¹⁴⁾.

ومن عالمات الأندلس في هذا العصر العروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون الكاتب، سكنت بلنسية، وكانت أخذت عن مولاها عبد الرحمن النحو واللغة، ولكنها فاقتة في ذلك وبرعت في العروض، وكانت تحفظ الكامل للمبرد والنوادر لأبي علي القالي وتشرحهما، قرأ عليها أبو داود سليمان الكتابين المذكورين، وأخذ عنها علم العروض، توفيت بدانية بعد مولاها عبد الرحمن سنة 540هـ/1146م⁽¹⁵⁾. "واشتهرت بعض النساء اللائي تتلمذ عليهن طلبة العلم مثل الحرة تاج النساء بنت رستم أخت أبي شجاع التي قرأ عليها عدد من الطلبة، منهم الفقيه الحافظ عمر بن عبد المجيد بن خلف بن موسى الأزدي المالقي الرندي⁽¹⁶⁾، وروى القاسم بن محمد بن سليمان الأنصاري الأوسي القرطبي نزيل مالقة قراءة وسماعاً عن أمه الفتح فاطمة بنت أبي القاسم الشراط⁽¹⁷⁾، وأخذ عن أم العفاف نزهة بنت أبي الحسين سليمان اللخمي القراءات، وتلا عليها حفيدها محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي القاسم سيد الناس، فتلا عليها بالتسع: والسبع

المشهوره، وقراءتي يعقوب وابن محيصرن، ولازم جدته نحو ستة أعوام ونصف، وأباه نحو خمسة عشر عاماً⁽¹⁸⁾.

كما تلت فاطمة بنت أبي القاسم عبد الرحمن على أبيها القرآن بحرف نافع، ثم استظهرت عليه تنبيه مكّي وشهاب القضاء، ومختصر الطليطلي، وقابلت معه صحيح مسلم، والسير وتهذيب ابن هشام والكمال للمبرد، وأمالي أبي علي القالي، قرأته على أبي محمد عبد الله الأندريشي الزاهد وابن المفضل الكفيف، وحدث عنها ابنها أبو القاسم بن الطيلسان، وتلا عليها قراءة ورسمًا، وقرأ عليها ما عرضت على أبيها من الكتب، وسمع عنها الكثير، وأجازت له بخطها⁽¹⁹⁾.

ومن شهيرات الأندلس في هذا العصر حمدة بنت زياد بن بقي العوفي المؤدب، من أهل وادي آش، وهي إحدى المتأديات المتصرفات المتعفتات، وهي شاعرة مطبوعة اختلف المؤرخون والأدباء في أشعارها وعاصرت حمدة أو قاربت عصرها، الشاعرة نزهون بنت القلاعي، وهي من شهيرات عصر المرابطين بالأندلس، حيث عرفت نزهون بنت القلاعي الغرناطية بخفة الروح والانطباع الزائد، والحلاوة، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فائق، وحسن رائق وهي التي رفضت أن تتزوج رجلاً قبيح الوجه⁽²⁰⁾ كما كانت لها مساجلات مع الشاعر الوشاح ابن قزّمان شاعر عصر المرابطين الجوال المستهتر، الذي رفع الموشحات إلى مرتبة الأدب الرفيع⁽²¹⁾ وقد كانت نزهون بنت القلاعي الغرناطية شاعرة ماجنة مما يدل على تحرر المرأة الأندلسية حتى في البيئة المرابطية التي اشتد فيها الفقهاء على أهل المجون والسفور، وأصحاب العادات المنحرفة كما يشير إلى ذلك ابن عبدون الإشبيلي في حسبته وهو من المعاصرين للحقبة المرابطية بالأندلس⁽²²⁾ "وبالجملّة فإنّ الناس قد فسدت أديانهم... الدنيا الفانية والزمان على آخره، وخلاف هذه الأشياء هو ابتداء الهرج، وداعية الفساد، وانقضاء العالم".

ويرجع بعض الباحثين هذا السلوك إلى تحرر الأندلسيات وقوة شخصيتهن خاصة القرطيبات والإشبيليات منهن منذ عصر قدس⁽²³⁾ ومنهم من أرجع تحرر الأندلسيات إلى بيئتهن الأندلسية القريبة من الغرب المسيحي وهذا مخالف لما هي عليه المرأة الأوروبية المسيحية من عبودية وعسف كما تشير إلى ذلك مدوناتهم⁽²⁴⁾. وقد وجد يوسف بن تاشفين بغرناطة عدة قصور وقد وصفها في ذلك العهد أبو الوليد الشقندي ومدح شواعرها اللاتي نذكر منهن نزهون وزيانة بنت زياد، وحفصة بنت الحاج الركونية، والغرناطيات الشهيرات السابقات كمریم بنت إبراهيم بن الطفيل المرادي العاملة الموسيقية المتفننة، والمؤرخة مسعدة والفيلسوفة الثرية ليلي وغيرهن، وقد رفع ذلك حالة المرأة الغرناطية في المجتمع وأحدث تسامحاً نحوهن لم تعرفه الأندلس في دولة سنية متشددة كما هو واقع في عصر المرابطين⁽²⁵⁾.

بلغت المرأة مكانة جليلة فسطع نجم بعضهن فشد الرجال إليهن الرجال لحضور حلقاتهن العلمية، وقد بلغت الحرة حواء بنت تاشفين مكانة عالية بين نساء جيلها فقد قال عنها ابن عذاري "وكانت الحرة حواء (التي امتدحها الأعمى التطيلي) أديبة شاعرة جليلة ماهرة.. وكانت ذات نباهة وخطر.."⁽²⁶⁾. كما اشتهرت بالصلاح والإنفاق على الفقراء، وأشار ابن رشد الجدد أنها ساعدت في إصلاح مسجد بلنسية. قال ابن عذاري: "وكانت هذه الحرة حواء أديبة شاعرة جليلة ماهرة.

أخبر أبو عبد الله محمد بن سعيد الخزرجي في كتابه: قال: حدثني أبو محمد بن جلون عن شيخه أبي عبد الله بن زرقون وكان شيخه مالك بن وهيب (الفيلسوف) قال: أمرت الحرة حواء اللمتونية بمراكش بمجلس الكتبة والشعراء، كانت تحاضرهم فيه وكانت ذات نباهة وخطر فاجتمع يوماً ذلك المجلس جماعة منهم ابن القصيرة وابن المرخي (ت533هـ/1138م)، وهذا لقب له لأنه يقال كان له فتور على فصاحته، وحضر غيرهما، فلما غصَّ المجلس أقبلت الحرة تريدهم وهم يتحدثون ويأخذون في الشعر، وكان ابن المرخي قد قال صدر بيت وهو: "أنا للبدر أخ" ولم يجزه أحد منهم،

إذ أقبلت الحرة فسلمت عليهم وبادرها ابن المرخي وقال لها: "حياك الله يا قمري ويا زهري" فقالت: "وصفتني والله بأفل وذابل" ففرح بفطنتها" فقالت له "فيم كنتم" قال لها: كنا قد قلنا صدر بيت ولم يقدر أحد على عجزه" فقالت: "انشدنيه" فقال: "أنا للبدرا أخ" فقالت على البديهة: "على ذا سنخ"؟ فتعجب الحاضرون من براعتها⁽²⁷⁾.

مدح أبو جعفر الأعمى التطيلي الحرة حواء قال⁽²⁸⁾:

يا أخت خير ملوك الرضا إن قصدوا *** وإن أعدوا وإن سموا نسبوا
محمد وأبو بكر وعزهم *** يحيى وحسبك عزًا كلما حسبوا
ثلاثة هم مدار الناس كلهم *** كالدهر ماضٍ وموجود ومرتقب
قد عم برك أهل الأرض قاطبة *** فكيف أخرج عنه جارك الجنب

كما كانت تميمة بنت يوسف، شقيقة علي راجحة العقل جيدة النادرة، جمعت ثروة أشرفت على إدارتها بنفسها، وكان لها كاتب تحاسبه ومن نساء العصر فانو بنت عمر بن ينتان⁽²⁹⁾ التي قاتلت الموحدين بحد السيف قبل أن تستسلم إليهم مدينة مراكش من بنات أسرة بني تاشفين من ثمرات الإصلاح التعليمي والتربوي لعصر المرابطين. لقد قامت فانو بنت عمر بن يينتيان؟ بدور خطير في الدفاع عن الدولة اللمتونية فهي من البطلات التي يحق للمغرب أن يخلد ذكراها، فقد استماتت في الدفاع بحد السيف عن قصر السلطة المرابطية وناضلت نصف يوم قبل أن يستسلم إسحاق بن علي ويدخل الموحدون إلى العاصمة مراكش، وقد أثار استبسال هذه العذراء اللمتونية إعجاب الموحدين في ذلك العصر⁽³⁰⁾ كانت تميمة بنت يوسف شقيقة أمير المسلمين علي تطلب العلم، وتحفظ الشعر، وتجيده، وتتخذ الموكلين والكناب، وتظهر إليهم في غير ما حياء أو خجل، وتحاسبهم دون أن تجد غرابة في ذلك⁽³¹⁾. وبلغ من نفوذ بعض الأميرات أن قصدهن الشعراء يمدحنهن، وتوجه إليهن أصحاب الحاجات يلتمسون شفاعتهن، فقد كتب الشاعر ابن خفاجة إلى الأميرة مريم بنت الأمير

أبي بكر بن تفلويت قصيدة طويلة يتشفع بها إلى زوجها الأمير أبي طاهر تميم، وقيل عنها "إنَّها ممن تقوم على كثير من الخير، وتحفظ جملة وافرة من الشعر، وتحاضر به وتثيب عليه" فما وقفت على ما كتب به حتى نفذ العهد بجملائه على أم وجوه البر والمحافظة والمكارمة"⁽³²⁾. وقد أتاحت الحرية - التي تمتعت بها الأندلس على عهد المرابطين - للمرأة أن تتصدر مكانة مرموقة في هذا المجتمع؛ وكانت ورقاء بنت ينتيان بن عمر شاعرة مجيدة "صالحة حافظة للقرآن"، أما زينب بنت تيفلويت شقيقة الأمير أبي بكر فكانت من أهل الخير والتعاون والصدقات والنوائل.

أثبتت النصوص التي مرت بنا أن رثاء الشعراء لإحدى النساء المرابطيات، وذكر مكارمها تنهض حجة على عدم صحة الاتهامات التي وجهت للمرأة المرابطية التي وصفتها الأدبيات الموحدية بالسفور والفساد.

إن البيئة والوسط الديني والتربية الأسرية التي تربي فيها مجتمع الملتزمين قد ترك آثاره على المرأة المرابطية، حيث لم يخل المجتمع من بعض النساء الصالحات، فزينب بنت عباد بن سرحان كانت دينية فاضلة كثيرة الأوراد صوامة قوامة، بل إن بعضهن اخترن حياة الاعتكاف والزهد والانقطاع إلى العبادة في ريعان شباهن، ولا يعزى هذا السلوك إلا للبيئة الصالحة والتربية التي نشأت عليها المرأة المرابطية في بيوت غلب عليها الصلاح، واستنتج بعض الباحثين أن الأوساط المرابطية لا تخلو من استقامة النساء، بفضل تحصيلهن العلمي وتربيتهن، وهذه كلها تقوم حجة على نجاح المشروع الدعوي المرابطي الذي قام على دعوة عبد الله بن ياسين ومن قبله علماء المغرب والأندلس⁽³³⁾.

لقد حظيت المرأة اللمتونية بمدائح أكبر شاعرَيْن عرفهما عصر المرابطين هما ابن خفاجة والأعمى التطيلي، وهو ما يوحي بالمنزلة الرفيعة التي خصَّ بها المرابطون نساءهم، وتأتي الأميرة حواء على رأس النساء اللاتي مجدتهن قصائد الشعراء، حيث قال الأعمى التطيلي يصف ورعها وتقواها:

دنيا ولا ترف، دين ولا قشف *** ملك ولا سرف، درك ولا طلب

برّ ولا سقم، عيش ولا هرم *** جدّ ولا نصب، ورد ولا قرب
ردّ غمرة ترمي من كل ناحية *** عبأها الفضة البيضاء والذهب
مليكة لا يُوازي قدرها ملكٌ *** كالشمس تصغر عن مقدارها الشهب⁽³⁴⁾
والرثاء واضح المعالم ضمن أغراض الشعر في هذا العصر قال الأعمى التطيلي، وهو يحس بالخزن
والكآبة لفقدان زوجته آمنة:
وليت حياتي غير شجو مردد *** عهد له إلا ألد حياتيا⁽³⁵⁾.

كما نلمس الحكمة الناطقة والموعظة الحسنة عن الشاعر الأعمى التطيلي مما يدل على صدق مشاعر
الناس في هذا العصر وقد ارتبط الرثاء بالحكمة والموعظة في قصائد كبار شعراء العصر وزهاده⁽³⁶⁾.
كانت المرأة في عهد يوسف بن تاشفين "تسير وحدها حاملة الذهب فتجول أقطار إفريقيا
والمغرب لا تجد من يعترض سبيلها أو من يمسه بسوء"، ورغم ما يستشف من هذا النص من مبالغة،
فإن الحقيقة السائدة قد حققت للمجتمع في الغرب الإسلامي ما لم يتحقق في أي دولة من الدول
المتعاقبة على حكم المنطقة.

ولا يمكن معرفة الحالة الأدبية والفكرية للمرأة الأندلسية، إلا بالعودة إلى النصوص الدفينة،
وسأقتصر على نوازل ابن الحاج^(ت529هـ/1135م)، لأنها في حكم المخطوط، من جهة ومن جهة
أخرى، لأن فتاوى أبي المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي^(ت497هـ/1104م)، وابن
رشد الجد^(ت520هـ/1126م) أصبحت الآن متوفرة بين أيدي الباحثين، أما ابن الحاج فنوازله من
الأهمية بمكان رغم صعوبة فك طلاسمها. من ذلك مسائل البيوع (الحواري والإيماء)، والعتق والزواج،
والمصاهرة والنفقة والسكن والصدّاق والنشوز وتزويج الفتيات الصغيرات اليتيمات خاصة من قبل
أوليائهن. والسجن للفتيات اللائئ هربن من حجر الأولياء، ونورد في قضية سجن المرأة الأندلسية ما
ورد في مسائل ابن الحاج الشهيد، لنعرف ظروف المرأة الأندلسية، على الرغم مما لحق هذا النص من

محو لبعض الكلمات مسألة: قال: أبو عبد الله بن الحاج: نزلت، وذلك أن رجلا تزوج امرأة وعقد نكاحها ولي ثم ظهر أنه ليس بولي لها، فسجنت المرأة والزوج، وهرب الولي، ثم أحضر الزوج والزوجة فأنكر الزوج أنه ما علم أنه ليس بولي لها، فأحلف على ذلك فحلف ولو نكل قالت لوجب عليه... الأدب وأقرت الزوجة فأفتى: فإن أدبها سجنها وفرق بينهما والإستبراء على المرأة بثلاث حيض ووجب على الزوج (كلمة غير مفهومة) السكنى فيها حيث يذهب كانت من فرجونش؟ فقال وليها نحملها مع نفسي فأفتى: أن له ذلك من أجل الخوف عليها وأنها كانت في فندق وذلك في رمضان سنة ثلاثة عشر وخمس مائة (513هـ/1119م)⁽³⁷⁾.

كما تشير نوازل الحقة المرابطية إلى أسواق العبيد والرقيق الأبيض، كما تشير إلى حيل تجار الرقيق والجواري من حيث الأثمان أو التدليس على المشتري، وقد أشرنا في معرض حديثنا إلى واحدة من هذه المسائل الخاصة بجارية حرة بنت حُرَيْن مع قُضاة تلمسان وقرطبة والمرية في الحقة مدار الدراسة، من خلال نوازل ابن الحاج الشهيد، كما إن ظاهرة العبيد ظاهرة عرفت منذ أن أنشأ منهم يوسف بن تاشفين حرسه وجيشه الخاص، كما استخدمهم علي بن يوسف في حروبه بالأندلس لخبرتهم وجلدهم مما يبرز حضور السودان والحشم في الجيش المرابطي كما تشير كتب الحسبة وفتاوى الحقة المرابطية للعبيد والخدم في قصور العائلات الوجيهة وفقهاء السلاطين، وقصور الأمراء والأثرياء. كما ملك اليهود المماليك والعبيد، وكان هؤلاء اليهود الذين كانوا من قبل يبحثون في الزبالة عن خرقة مهترئة يكفنون بها موتاهم، أصبحوا في عهد الطوائف يقتسمون غرناطة وأعمالها فيما بينهم يقبضون الجبايات، ويتأنقون في اللباس، ويدبحون في الأسواق "فعادوا إلى سابق عهدهم كما فصلناه في غير هذا العمل.

ويدل البحث في كتب الفقه والنوازل استفحال ظاهرة تفوق النساء على عدد الرجال في المجتمع المرابطي، وذلك ربما عائد للحروب الطاحنة التي خاضها الجيل الأول والثاني بالمغرب والأندلس

خاصة، فقد خلفت هذه الحروب العديد من الأراامل، كما تشير إلى ذلك أمثال العامة التي جاءت في أزجال ابن قُزمان وشاح وزجال الحقة المرابطية. كما أن تجارة الرقيق⁽³⁸⁾ والجواري خاصة أسفرت عن اكتظاظ الأسواق بمن فعز الأزواج وكثرت العوانس⁽³⁹⁾. ومن ذلك عزوف الرجال عن الزواج بالحرائر خاصة للشروط العالية المسجلة في عقود الزواج والكالوي وملحقاته الذي كان نذير فقر وسوء عاقبة، حتى انتشرت ظاهرة العزوبية في المجتمع، مما أدى بالمجتمع الأندلسي على عهد المرابطين أن ينظر لهؤلاء نظرة ارتياب وشك في سلوكهم الاجتماعي، كما أشارت كتب النوازل إلى ظاهرة أخرى هي تعدد الزوجات وأحكام التعدد كما أشار إلى ذلك ابن زكون فقيه الحقة المرابطية في فصل خاص في كتابه "اعتماد الحكام في مسائل الأحكام"⁽⁴⁰⁾.

ويتحدث كُتّاب الحسبة ورجال التاريخ عن ظاهرة الانحلال والفساد الذي تعرفه بعض الحواضر الأندلسية في عصر المرابطين كإشبيلية، التي تجمع بين المتناقضات بين التدين والتمسك بالعقيدة والزهد إلى درجة التصوف، وبين اللهو والعريضة التي تبلغ أقصاها في واديهها، حتى قالوا فيها " وهذه المدينة من أحسن مدن الدنيا، وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة، وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة يعينهم على ذلك واديهها الفرج وناديهها البهج"، حيث ابتذلت فيها المرأة في أوساط الخاصة كما انتشر في بعض الأوساط البغاء وسميت البغايا بالخراجات وحسب أحد الباحثين "خرجيرات"⁽⁴¹⁾، وكان هن أماكن خاصة في بعض الفنادق التي سميت بدور الخراج، وكانت البغايا أو الخراجات يقفن خارج الفندق بكامل زينتهن المبالغ فيها، متبرجات كاشفات عن شعورهن لإغراء الرجال، وتحريض النساء أيضًا، مما حدا بابن عبدون الإشبيلي صاحب الحسبة، بأن يمنع نساء دور الخراج عن كشف رؤوسهن خارج الفنادق، والتحلي للنساء، وينهين عن السير بينهن ولو سمح هن بذلك، بل كان من الممكن الإرسال في طلب الخراجات إلى المنازل، ولا بد للخراجية أن تجيد الرقص والغناء وسائر فنون التسلية، وكانت دور الخراج يسمع فيها أصوات الغناء والموسيقى التي

تتسرب إلى خارجه مما سبب حرجًا للمارة. وبالرغم من عمل الفقهاء والمحتسب من أجل الحفاظ على الآداب العامة ونجاح المرابطين في دعوتهم وهو ما نراه في أدب المرابطين، أدب الجهاد والاتحاد⁽⁴²⁾ فإن وضع المجتمع الأندلسي لا يعكس النجاح الكامل للدعوة الإصلاحية المرابطية، فقد ذكر ابن عبدون الإشبيلي في حسبته محذرًا حيث قال: "ويُمنع النساء من الغسل في الأجنة (البساتين)، فإنها أوكارُ الزنا"⁽⁴³⁾. وطلب أن لا يجلس للنساء على ضفة الوادي في فصل الصيف، إذا ظهر الرجال فيه. وبلغ الشباب الماجن درجة إقلاق النساء والكشف على النساء المخزونات في مقبرة إشبيلية، كما أفسدوا على النساء راحتهم أيام العيد حيث أمر المحتسب والسلطان أن لا يترك الشبان أيام العيد يجلسون فيها (المقبرة) على الطرق لاعتراض النساء، ويجدُّ في منع ذلك المحتسب ويعضده القاضي، يجب أن يمنع السلطان أن يجلس على أفنية القبور لمراودة النساء ويتعاهد ذلك كل يوم مرتين. كما أن ظاهرة العهر، قد صاحبها انتشار شرب الخمر بين الخاصة والعامة مما يدل على انحراف المجتمع إلى حدِّ ما، هذا إذا ما صدقنا الروايات الموحدية حول تبرج النساء وشرب الخمر؛ وهي الرواية الوحيدة الموجودة بين أيدي الباحثين اليوم في غياب وصمت المصادر المرابطية الضائعة والدفينة. يقول ابن عبدون: "من معايب مقبرة إشبيلية فقال: "وأقبح ما في مقبرتها (وبها يُعابُ أهلُ بلدنا) الشُّكنى على ظهور الموتى لقوم يشربون الخمر، وربما يفسقون"⁽⁴⁴⁾ ولما عاد أبو بكر بن العربي خزانة العلم وقطب المغرب - كما كان يلقب - تولى قضاء إشبيلية سنة 508هـ/1114م التزم العدل في الحكم والمساواة في القضاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى أن أودى في سبيل ذلك، فهوجم في داره وأحرقت كتبه، بمؤامرة دبرها حاسدوه، ومنافسوه وما أكثرهم، ومن القضايا وظواهر عصره التي عرف بها أهل بلده إشبيلية تربية الشعر بطريقة غير مقبولة فكان ابن العربي القاضي يعاقب من فعل ذلك في مدة توليه القضاء بخلق الشعر والضرب، قال أبو بكر بن العربي: "وقد كنت أيام الحكم بين الناس أضرب وأحلق، وإنما كنت أفعل ذلك بمن يربي شعره عونًا على المعصية، وطريقًا إلى التجمل به في الفسوق،

وهذا هو الواجب في كل طريقة للمعصية أن يقطع إذا كان ذلك غير مؤثر في البدن"⁽⁴⁵⁾. هذا بالنسبة لإشيبيلية التي تبدو لنا أن المشروع التربوي والأهداف التربوية للمرابطين لم تؤثر فيها رغم ما عرف عن علمائها ورجالها من حب للعلم والمعرفة في هياكل التعليم المشهورة. ونستشف من كلام محمد بن العربي وهو يفسر سورة النور أن الفساد قد بلغ مداه فقال: "وقد لعب رجل بصبي، فضربه الوالي ثلاثمائة سوط، فلم يغير ذلك مالكا حين بلغه، فكيف لو رأى زماننا هذا بهتك الحرمات والاستهتار بالمعاصي، والتظاهر بالمناكر، وبيع الحدود، واستيفاء العبيد في منصب القضاة، لمات كمداً، ولم يجلس أحداً؛ وحسبنا الله ونعم الوكيل"⁽⁴⁶⁾. وانتشرت المنكرات والبدع في أواخر عصر المرابطين، ومنها تكلفة الزواج وما يصاحبها من غلاء، والنصوص لاتدع مجالاً للشك فيما يتطلبه الزواج والوليمة من نفقات باهظة حتّى القاضي أبا بكر بن العربي⁽⁴⁷⁾ اعتبر ذلك من المنكرات يقول في سراج المرابطين وهو يتحدث عن البدع والمنكرات التي حدثت في أواخر العصر المرابطي "وقد عظم الخطب في هذا الزمان حتى لا يدري العبد على أي شيء يبكي، أعلى فوات دنياه... أم على عروسه التي تطالب بما ليس به طاقة".

وإذا كان حجة الإسلام قد اكتفى بالدعوة إلى تعليم الزوج زوجته علم الحيض وأحكامه مع تعليمها أحكام الصلاة، وهو كل ما يدعو إليه الغزالي في موضوع تعليم المرأة، والمعروف أن تعليم المرأة لم يكن مطروحاً ومفهوماً كما نفهمه اليوم، لكن من الغريب أن يقصر الغزالي تعليم المرأة على مسألة أو مسألتين هامشتين، فإذا كان موقف الغزالي من تعليم المرأة أحد كبار علماء العصر في المشرق والمغرب، فكيف كانت حالة المرأة التعليمية ومشاركتها الأدبية والعلمية في غياب النصوص والشواهد.

قد لا نفي دور المرأة المرابطية حقها في هذه العجالة، نظراً لغياب النصوص الخطية الخاصة بالمرحلة عموماً والنساء خصوصاً، لهذا فإن الإشارة إلى هذه الأدوار المحددة لنجاح أو فشل المشروع

التربوي والتعليمي المرابطي، هو مدخل يحتاج إلى بحث دقيق في مضان النصوص الخطية الدفينة، كالفتاوى وكتب العقود والشروط والأحكام، لهذا اكتفينا بهذه النصوص في هذا التقييم لدور المرأة المرابطية الأدبي والعلمي؛ لعل الدراسات والأبحاث الخاصة بالمرأة المرابطية عمومًا والأندلسية خصوصًا في عصرهم كفيلة بسد الفراغ الكبير في الدراسات الجامعية⁽⁴⁸⁾.

ويبدو أن ميل الشعراء-ومنهم ابن قزمان- إلى الخلاعة، وهو ليس من أرباب التصاون والشرف في غزله، بل كان متهتكًا مسرفًا يميل إلى الخلاعة واللهو، ويدعو إلى الاستهتار والإسفاف، حيث كان ابن عصره دون شك في مرحلته الأخيرة، إذ أن الأندلس لعهدده قد أخذت إلى الراحة نسبيًا بعد أن كفت شر نصارى الشمال، وبعث المرابطون في الثغور بوادر الانفراج والسلم في الحواضر الأندلسية، لهذا تفرغ الوجهاء والشعراء خاصة وبعض أمراء الملمثمين للقصور والمنتديات للسمع والطرب وماجت الليالي الحاملة بروائع الأوانس من سبايا قشتالة وجليقية وإيطاليات، وكل منهن فاتنة ذات هو وأنس. وبلغت الحياة الفكرية أوجها حيث انخرط فيها جماعة من أهل الفكر الحي، وما من قاعدة أو حاضرة إلا وقام فيها للأدب والفن أسواق رائجة كقرطبة وإشبيلية ومالقة وسرقسطة وبلنسية وهو الأدب والعلم الذي يملأ بطون الكتب التي وصلتنا⁽⁴⁹⁾. وقد سجل لنا عبد الملك بن زهر فتنة الجوارى والصراع الدائر داخل البلاط المرابطي فقال يصف حالة من حالات الصراع: "كانت عند الشقي؟ علي بن يوسف جارية تسمى الثريا، أصابها عَقْرُ في أمعائها الدقاق وتبع ذلك إسهال مفرط وعصار، وكلما رمت علاجها أعياني حتى أتت عليها نيف على أربعين يومًا، وقد حرت في علتها فإني كنت أحسن الظن، فإذا أمعائها قد انسلخت طبقتها الداخلة كلها، فأوقفني الصقلي عليها فعجبت من حدة خلط يبلغ إلى هذا ويؤثر هذا التأثير العظيم دفعة، فبعد لأني تيقنت أن قمر(حظيته الأعز عنده) من صواحبه سمتهها، فلم يكن فيها حيلة وماتت من علتها تلك"⁽⁵⁰⁾.

ونحب أن نختتم هذا البحث الخاص بمساهمة المرأة الأدبية والعلمي بشاعرة كبيرة، من عصر المرابطين هي نزهون بنت القلاعي الغرناطية التي عاصرت نبيهات عفيفات من بيوت غلب عليها الصلاح كحمدة بنت المؤدب، وهند خادم أبي محمد بن مسلمة الشاطبي الكاتب، وحفصة بنت الحاج الركونية من أهل غرناطة عاصرت حمدة حسب ما ذهب إليه ابن الأبار⁽⁵¹⁾. وهي شاعرة ماجنة كثيرة النوادر، كان لها مجلس أدبي⁽⁵²⁾، ومن نوادر نزهون التي احتفظ لنا بها التاريخ أن أبا بكر بن قزمان الشاعر الزجاج، جاء ليناظرها وكان يرتدي غفارة صفراء -وهي زي الفقهاء يومئذ- وعندما لمحتته قالت له بصوت تتخلله نغمة من الدعابة والظرف: *إنك اليوم كبقرة بني إسرائيل صفراء فاقع لونها ولكنك لا تسُر الناظرين* فضحك الجميع ممن حضر وثار ابن قزمان واستشاط غضبًا، فأخذ يسب واندفع الحاضرون إليه وطرحوه في بركة أمام البستان⁽⁵³⁾ ودخل أبو بكر الكنتدي على الأعمى المخزومي، وهي تقرأ عليه فقال أجز:

لو كنت تبصر من تكلمه***

فأفحم الأعمى ولم يجز جوابًا ، فقالت نزهون (من الكامل):

*** لغدوت أحرص من خلاخله.

البدر يطلع من أزرته*** والغصن يمرح في غلائله.⁽⁵⁴⁾

ولها مساجلات مع أبي بكر المخزومي الأعمى الذي كان حيًا بعد الأربعين وخمسمائة". قالت تهجوه:

قُلْ للوضيع مَقَالًا*** يُتلى إلى حين يُحشَر.

من المدور أنشئت*** تَ والخرا منه أعطر.

حيث البداوة أمست*** في مشيها تتبختر.

لذلك أمسيت صبًا*** بكل شيء مدور

خُلِّتْ أعمى ولكن *** تهيم في كل أعور
 جازيت شعراً بشعر *** فقل لعمرى من أشعر
 إن كنت في الخلق أنثى *** فإن شعري مُدَكَّر.
 فقال لها أبو بكر المخزومي الأعمى اسمعي:
 ألا قل لنزهونة ما لها *** تجرُّ من التيه أذيالها.
 ولو أبصرت فيشنة شمرت *** - كما عودتني - سربالها.

فحلف الوزير ابن سعيد أن لا يزيد أحدهما على الآخر في هجوه كلمة، فقال المخزومي الشاعر: أكون هجاء الأندلس وأكف عنها دون شيء، فقال أنا أشتري منك عرضها وكان الهجاء المخزومي حياً بعد الأربعين وخمسائة⁽⁵⁵⁾. ولم يسلم أهل مرسية من هجاء المخزومي، حتغادرها إلى غيرها من حواضر الأندلس، فقال فيهم: (متقارب)⁽⁵⁶⁾.

على أهل مرسية لعنة *** تعم الديار وأربابها
 فما غلقت قط مذ فتحت *** على فاضل الطبع أبوابها
 كلاب تهر إلى شاعر *** وتكشف للشر أنيابها

ثم اتهمه الفقيه أبو محمد عاشر بن محمد الطنبلي⁽⁵⁷⁾ وبلغه عن الطنبلي أنه ينعي عليه شرب الخمر، فقال المخزومي الأعمى الشريف كما نعته صفوان بن إدريس فيه⁽⁵⁸⁾ (كامل).

طُبْنِيكُمْ هذا الفقيه مُحَقَّق *** باق علعهد الصديق مُقيم
 شهدت عليه باللواط جماعة *** والله يعلم أنه مظلوم
 ساء الفقيه بأني مُنْخَلِعُ *** ويسرني أن الفقيه فطيم.

والطنبلي هو فقيه عارف موثق ولي قضاء مرسية. وعلق المقري فقال: ومع كون أهل الأندلس سُبَّاق حلبة الجهاد، مُهْطَعِين إلى داعية من الجبال والوهاد، فكان لهم في الترف والنعيم والمجون ومداراة

الشعراء خوف الهجاء محلٌ وثير المهاد، وكان الأعمى المخزومي الهجاء من شعراء عصر المرابطين فقال فيه ابن الخطيب، ومما نقله عنه المقرئ التلمساني: "إنه كان أعمى شديد الشر، معروفًا بالهجاء، مسلطاً على الأعراض، سريع الجواب، ذكي الذهن، فطناً للمعارض، سباقاً في ميدان الهجاء، فإذا مدح ضعف شعره، وقدم المخزومي إلى غرناطة في نهاية حكم المرابطين وكان له في مجلس الوالي أبي بكر بن سعيد المساجلة والهجاء الذي دار بينه وبين نزهون الغرناطية. كان أبو بكر الأعمى المخزومي المدوري شديد الشر معروفًا بالهجاء، مسلطاً على الأعراض كما سبق أن ذكرنا⁽⁵⁹⁾. وله أيضاً في ذي ذم أهل مُرسية⁽⁶⁰⁾ (متقارب):

كلاب تهر إلى شاعر *** وتكشف للشر أنيابها

وخلاصة القول: إنَّ كل الأسماء اللامعة ممن ذكرنا أو ممن أشرنا له إشارة عابرة، والذين عاشوا في عصر المرابطين، وهم رواد الحركة الشعرية: ابن خفاجة، ابن الزقاق البلنسي، ابن عبدون اليابري (ت. 529هـ/1136م)، ابن بقي الأندلسي، الأعمى التطيلي، المخزومي الأعمى الغرناطي، أبو بكر الأبيض، وغيرهم من الفقهاء الشعراء أو الحكماء الشعراء، يدرك الباحث المنصف تمام الإدراك أن الحركة الشعرية في عصر المرابطين حركة ناضجة مميزة بفحولها في كثير من الخصائص، بل نخالف ما أجمع عليه كثير من النُّقاد من أن الحركة الشعرية في هذا العصر امتداد للعصر السابق أي عصر ملوك الطوائف⁽⁶¹⁾.

كما أبرزت دراستنا للعلوم اللسانية والأدبية ومشاركة المرأة في الحياة الأدبية والعلمية، ظاهرة التطور في العصر مجال الدراسة، كما أن التراث الإسلامي قد استوعب معادلة معروفة عند محيي الدين بن عربي: "إنَّ الرجل مدرج بين ذات ظهر عنها وبين امرأة ظهرت عنه..."⁽⁶²⁾.

الإحالات

- 1- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الجزء التاسع، راجعه وصححه، محمد يوسف الدقاق، بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ/1987م. ص: 99.
- 2- القاضي عياض، ترتيب المدارك، الجزء الثامن، تحقيق سعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. 1968م. ص: 168. عصمت عبد اللطيف دندش، أدوار سياسية لنساء في دولة المرابطين (أضواء جديدة على المرابطين)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1991م. ص: 169.
- 3- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، (الجزء الثاني والعشرون)، تحقيق وتعليق. مصطفى أبو ضيف أحمد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية. (دت). ص: 385 مجهول، الحلل الموشية، نشرة زمامة، ص: 49-50. ابن الخطيب، الإحاطة، الجزء الثالث، ص: 523. انظر مقارنة تاريخية مميزة. دورتيا كرافولسكي، البدو في مصر والشام في القرنين السابع والثامن الهجريين عند العمري في "مسالك الأبصار (مجلة الاجتهاد) العدد السابع عشر، السنة الرابعة، ص: 35-72. دندش، أدوار سياسية لنساء في دولة المرابطين، ص: 169.
- 4- غنيمة (محمد عبد الرحيم)، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، تقديم عبد الله كنون، تطوان المغرب الأقصى، دار الطباعة المغربية، 1953م. ص: 303.
- 5- محمد بن تومرت، أعز ما يطلب، تحقيق وتقديم الدكتور عمار طالبي، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م. ص: 242 وما بعدها. العمري، مسالك الأبصار (تحقيق دوروتيا) ص: 184.
- 6- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 260-261. صفوان بن إدريس المرسي، زاد المسافر، وغرّة مَحْيَا الأدبِ السَّافِرِ، (أشعار الأندلسيين من عصر الدولة الموحدية) أَعَدَّهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ عبد القادر محداد، بيروت، دار الرائد العربي، 1980م. ص: 49. العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأقطار، (تحقيق دوروتيا) ص: 184. انظر

سقوط الدراسات الحديثة في نفس لون الدعاية الموحدية: محمد قريبيز، الشعر الصوفي في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، إشراف أ.د. عمر الدقاق، جامعة حلب كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، سوريا، (رسالة ماجستير، مخطوطة) 1406هـ/1986م. ص: 6.

7- غنيمة، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، ص: 43. دندش، معاهد العلم والتعليم بالأندلس في عهد المرابطين، (مجلة دعوة الحق)، رقم: 258، الرباط، 1986م. ص: 96. دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، (عصر الطوائف الثاني) بيروت دار الغرب الإسلامي 1988م. ص: 369 وما بعدها. بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، (المجتمع. الذهنيات. الأولياء.)، بيروت، دار الطليعة. 1993م. ص: 50-51.

8- قال ابن عبدون الإشبيلي وهو معاصر للحقبة موضوع الدراسة: "يجب أن لا يُلثم إلا صنهاجي أو ملتوني

أو لمطي، فإن الحشم والعبيد ومن لا يجب أن يُلثم؛ يُلثمون على الناس ويُهيبونهم ويأتون أبوابًا من الفجور كثيرة بسبب اللثام وهمًا، ويُكلم في ذلك السلطان، فإنهم عتاة، ويمتاز بذلك من عسى أن يُكرم أو يُوقر أو تُقضى له حاجة من المرابطين" ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص: 28. انظر: ابن رشد الجد، فتاوى ابن رشد، مسألة رقم: 277. في تلثيم الملتمين، ص: 963. قال العمري عن "تلثيم مسوفة" وسبب براقعهم إظهار الحزن على المهدي بن تومرت؟ العمري، مسالك الأبصار (تحقيق دوروتيا) ص: 184.

9- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، "نصوص جديدة لم تنشر" تحقيق عبد السلام شقور، طنجة المغرب القصي، مؤسسة الطباعة والنشر والتوزيع. 1988م. ص: 40. فرنانديس (قنصل إسبانيا)، غرناطة والحمراء (تأثير غرناطة الثقافي في العصور الوسطى)، ترجمة الشريف محمد المدرس بثانوية سيدي بلعباس، القسم الأول، الشهاب المجلد الرابع، العدد 151 السنة الرابعة،

الخميس 24 محرم 1341هـ 12 جويلت 1928م.ص:3. (ص:103) المجلد طبعة دار الغرب

الإسلامي، بيروت، 2001م.ص:3.

10-الريسوني، الشعر النسوي في الأندلس، ص.:141

11-نفسه:ص.:141

12-المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المجلد الرابع.ص.:292

13-نصير الدين الطوسي، تدبير الولد عند الطوسي داخل نظريته في الأخلاق وسياسة المدينة

الفاضلة

(علي زيعور، ميادين العقل العملي في الفلسفة الإسلامية الموسعة)ص.:289

14- دندش، معاهد العلم والتعليم بالأندلس، ص:96. دندش الأندلس في نهاية المرابطين

ومستهل الموحدين ، ص:338 وما بعدها.

15-زينب بنت علي بن حسين بن فواز العاملي، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، مصر،

مطبعة بولاق، 1313هـ.ص:331.نقلا عن: غنيمة، تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى،

ص:306. عبد العزيز بن عبد الله، المرأة المراكشية في الحقل الفكري،ص.:266

16- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني، ص.:452

17- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني، ص:

557.ترجمة رقم:1090.

دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، ص:378.

18- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني، ص:

ص:654.ترجمة رقم:1245.

- 19- نفسه، السفر الثامن، القسم الثاني، ص: 489..ترجمة رقم: 267. دندش، الأندلس، ص: 378.
- 20- ابن الأبار القضاعي، المقتضب من كتاب نزهة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1403هـ/1983م. ص: 216. بوتشيش، ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة، (مجلة دراسات أندلسية) العدد: 9، تونس، رجب 1413هـ/جانفي، 1993م. (انظر معايير اختيار الزوجة). الهامش: 43. بالنشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص: 125.
- 21- محمد رجب البيومي، الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثير، ص: 117. إداور بروي، القرون الوسطى، ص: 334.
- 22- يقول ابن عبدون وهو يصف حال بلاده في نهاية عصر المرابطين كما يعتقد بعضهم: ابن عبدون الإشبيلي، رسالة في القضاء والحسبة، ص: 60. كما حذر ابن عبدون من تقليد اليهود للمسلمين في لباسهم وهيئاتهم مما يبين التأثير المتبادل بين الأمتين في بلاد الأندلس، أنظر وضعية يهود الأندلس في عصر المرابطين، هافا لازاروس، الفكر الإسلامي والفكر اليهودي بعض جوانب التأثير الثقافي المتبادل، (مجلة الإجتهد) العدد الثامن والعشرون، السنة السابعة، بيروت، لبنان 1416هـ/1995م. ص: 192-193. مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ/2000م. ص: 223 وما بعدها. ابن عبدون الإشبيلي، رسالة في القضاء والحسبة، ص: 51. انظر وضع اليهود في عهد المرابطين. بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص: 107. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، ص: 260. بشير صحراوي، العلاقات الثقافية والأدبية بين المغرب العربي والأندلس في عصر

الموحدين، رسالة ماجستير، مخطوطة إشراف، د. صلاح خالص، كلية الآداب، جامعة بغداد، ربيع الثاني، 1403هـ / شباط 1983م. ص: 48. د. سامية مصطفى محمد مسعد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2003م. ص: 219.

23- يذكر الباحث عبد السلام همال هذه العادات من خلال قراءته لنوازل ابن سهل وغيرها من المصادر الدينية التي لم تلق رواجًا كبيرًا رغم أهميتها في حياة الأندلس الاجتماعية والاقتصادية انظر: الأستاذ عبد السلام همال، قضاء الجماعة بقرطبة الاسلامية من قيام الإمارة إلى نهاية الخلافة الأموية (138-422هـ/756-1031م)، رسالة ماجستير بإشراف د. عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر، 1414-1415هـ/1994-1995م. ص: 187. (رسالة مخطوطة). ابن عبدون الإشبيلي، رسالة في القضاء والحسبة، ص: 46. دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص: 338. أنظر أيضًا رأي ابن رشد الحفيد حول المرأة الأندلسية: ابن رشد، الضروري في السياسة (مختصر كتاب السياسة لأفلاطون)، ص: 125-126. ابن رشد، سيرة وفكر (دراسة ونصوص) ص: 250 وما بعدها.

Albarnoz, L'Espagne Musulmane, OP-CIT, P:280.

24- انظر وضعية المرأة المرابطية. بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص: 46.

25- فرنانديس (قنصل إسبانيا)، غرناطة والحمراء (تأثير غرناطة الثقافي في العصور

الوسطى) القسم الأول، ص: 4.

26- ابن عذاري، البيان المرابطي، ص: 57.

27- ابن عذاري، البيان المرابطي، ص: 57. عبد العزيز بن عبد الله، المرأة المراكشية في

الحقل الفكري، ص: 268.

- 28- ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، الجزء الثامن، القسم الثاني، ص: 498.
- 29- في كتاب الحلل الموشية وزير من وزراء علي بن يوسف اسمه ينتيان بن عمر فهل هو الوزير الذي أشار على أمير المسلمين بإطلاق سراح المهدي بن تومرت وبهذا تكون فانو حفيدته فتكون إذن فانون بنت عمر بن ينتيان بن عمر ، يقول عنه ابن عذاري وقد فرَّ إلى الموحدين : "ولقي من الكرامة لديهم ما لا يزيد عليه" لعله إسحاق ابن الوزير ينتان: ابن عذاري، البيان المغرب، الجزء الثالث، ص: 20. مجهول الحلل الموشية ، تحقيق زكار وزمامة، ص: 101.
- محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، العصر الثالث، ص: 263.

Codera, Familia Real de los Benitexufin; p:15

- 30- عبد العزيز بن عبد الله، المرأة المراكشية في الحقل الفكري (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمريد) المجلد السادس، العددان الأول، والثاني، 1378هـ/1958م. ص: 272.
- 31- دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص: 316.
- 32- نفسه، ص: 316.
- 33- بوتشيش، المغرب والأندلس، ص: 55. دندش، أدوار لنساء في دولة المرابطين (أعمال الملتقى الأسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية، غرناطة في 6-10 نوفمبر 1989م الأندلس (1492م-1992م). سلطاني، اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس، ص: 41. عرييق، فن المديح في عهد المرابطين بالمغرب والأندلس، ص: 32 انظر صورة أخرى للمرأة بجبل نفوسة وهي دلالة على مكانة المرأة المسلمة في طلب العلم وتحصيله: بوبة مجاني، دور المرأة في الحركة العلمية بجبل نفوسة من القرن الثالث إلى القرن السادس الهجريين(9-12م) قراءة أولية لمخطوط إباضي من القرن 6هـ/12م(الحياة) دورية فكرية يصدرها معهد الحياة

بالقرارة(الجزائر)العدد الثاني، نشر جمعية التراث(القرارة-غرداية) رمضان 1419هـ/

جانفي 1999م.ص:160 وما بعدها.

34- ديوان الأعمى التطيلي، القصيدة رقم:5. ص.:17

35- عبد الحميد عبد الله الهرامة، الأعمى التطيلي، حياته وأدبه، طرابلس، المنشأة العامة للنشر

والتوزيع 1392 ور/1983م.ص:38.

36- الجيلالي سلطاني، شعر الزهد والتصوف في عصر المرابطين بالمغرب الإسلامي(مجلة

الحضارة الإسلامية)العدد الثاني، ص.:219

37- أبو عبد الله ابن الحاج ، نوازل ابن الحاج ، ص:66-67.ابن الحاج ونوازه حاضرة في معيار

الونشريسي ونوازل البرزلي ومجالس القضاة والحكام لمحمد بن عبد الله المكناسي اليفرني قاضي الجماعة

بفاس، وكانت نوازل ابن الحاج وابن رشد الجدمدار معظم النوازل التي رجعت إليها ، مثل كتاب

الأحكام لأبي المطرف الشعبي المالقي (497هـ/1104م) ومعين الحكام على القضايا

والأحكام لابن عبد الرفيع(733هـ/1332م)(جزءان)،وكل الذين تناولوا الفتاوى من المتأخرين

خاصة انظر: العلامة المكناسي قاضي فاس.أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الشهير بالمكناسي

اليفرني قاضي الجماعة بفاس مجالس القضاة والحكام ورسوم مناظراتهم، رقم الميكروفيلم:(م-25

) رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية ص:189. انظر الملحق رقم:8.ابن سهل، ديوان الأحكام

الكبرى، الجزء الثاني، ص.:880

38- تشير نوازل الحقبة المرابطية إلى أسواق العبيد والرقيق الأبيض، كما تشير إلى حيل تجار الرقيق

والجواري من حيث الأثمان أو التدليس على المشتري، وقد أشرنا في هذا الهامش إلى واحدة من هذه

المسائل الخاصة بجمارية حرة بنت حُرَيْن مع قُضاة تلمسان وقرطبة والمريية في الحقبة مدار الدراسة،

من خلال نوازل ابن الحاج، وظاهرة العبيد ظاهرة عرفت منذ أن أنشأ منهم يوسف بن تاشفين

حرسه وجيشه الخاص، كما استخدمهم علي بن يوسف في حروبه بالأندلس لخبرتهم وجلدهم مما يبرز حضور السودان والحشم في الجيش المرابطي كما تشير كتب الحسبة وفتاوى الحقبة المرابطية للعبيد والخدم في قصور العائلات الوجيهة وفقهاء السلاطين، وقصور الأمراء والأثرياء. انظر: إبراهيم القادري بوتشيش، مسألة العبيد بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين (الإسلام السري في المغرب العربي) القاهرة، سينا للنشر، 1995م. ص: 232. إميليو غرسية غومث، مع شعراء الأندلس والمنتبي (سيرة ودراسات)، ص: 106.

انظر عن تجارة العبيد ومصادرهم وأسواقه بالأندلس:

William D. Phillips, Jr, Historia de la esclavitud en Espana, Fuenlabrada (Madrid), Editorial Playor, 1990. P: 96

39- نوازل ابن الحاج ، ص: 84-85-86-87. بوتشيش، ظاهرة الزواج في الأندلس، هامش رقم: 14.

40- أبو علي حسن بن زكون (حسن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل (ت553هـ/1159م- 1160م) ، اعتماد الحكام في مسائل الحكام وتبيين شرائع الإسلام من حلال وحرام" ، (نوازل ابن زكون) مخطوط رصيد الخزانة العامة للوثائق والمخطوطات الرباط رقم: ق: 413. ص: 57،

بوتشيش، ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة. (مجلة دراسات أندلسية العدد التاسع) مرجع سبق ذكره. انظر الخلاف الذي كان يقع بسبب المهر والكالالي قال ابن الحاج: مسألة "رجل زوج ابنته من رجل وقبض مهرها عيناً فجهزها بثياب يستغرق بعضها النقد ومن جملة الثياب غفارة محرزة، وثوب رازي ثم وقع بينه وبين صهره تشاجر فأراد الأب أخذ ما لابنته من الثياب وحوطها وقال الزوج تترك لي بقدر نقده فأجاب إلى ذلك، فأراد الأب أن يحتسب له من النقد بقدر الغفارة والرازي ولم يرد الزوج، وقال: إنهما هدية فأفتى أبو الوليد

بن رشد وأبو عبد الله بن الحاج أن على الأب أن يترك في بيت البناء مقدار النقد من الجهاز، ولا يحتسب في ذلك شيء من ثمن الغفارة والرازي الذي اشتراها له، وكان في السؤال أن قاضيا حكم بأن يحتسب من النقد فلا يلتفت إلى ذلك الحكم. قاله ابن رشد وابن الحاج. نوازل ابن الحاج ص: 68.

41-الخراجات صنف من البغايا المذكورات في حسبة ابن عبدون الإشبيلي، وكذلك صنف آخر من البغايا وسماهن بالطرازات حيث قال: "لا يخالط النساء في البيع والشراء إلا ثقة خبير، قد عرف الناس خيره وأمانته... قطع الطرازات عن السوق واجب، وإنما هن قُحاب"؟، انظر، ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص: 47. انظر أيضًا عن وضع الخراجات، وما قال فيهن ابن عبدون الإشبيلي، رسالة في القضاء والحسبة، ص: 50-51.

إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، ص: 193. أبو بكر الطرطوشي، رسالة في تحريم الجبن الرومي، وكتاب تحريم الغناء والسَّماع، تقديم وتحقيق عبد المجيد تركي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997م. ص: 197 وما بعدها. البرزلي، الحاوي، القسم الرابع، رقم: 3274. ورقة: 295 وجه.

*Dr, Antanio Arjona Castro, La sexualidad en Espana
Musulmana, P: 50.*

42- للتوسع في هذا الغرض أحيل على الأعمال الجامعية المتخصصة:

منجد مصطفى بهجت، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف والمرابطين، جامعة الأزهر، القاهرة، 1980م. (رسالة ماجستير). علي بن ناصر حجاج، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي عبر القرنين (5-6) الهجريين، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود للعلوم الإسلامية، 1405هـ (رسالة ماجستير).

Urvoy, la Notion de Jihad en Espagne musulmane;P:351.

43- ابن عبدون الإشبيلي، رسالة في القضاء والحسبة، ص:46.

Dr, Antanio Arjona Castro, La sexualidad en Espana Musulmana, P:50.

44- ابن عبدون الإشبيلي، رسالة في القضاء والحسبة، ص:26-45-46-47-48.

العقباني، كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق فريد عبدي، ص:302.

45- عمار طالبي، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، الجزء الأول، ص:63.

V.Lagardere, Abu Baker B. Al Arabi Grand cadi de seville (Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée (R. OM.M) 40, 198-2. PP:91-101.

46- ابن العربي، أحكام القرآن، الجزء الثالث، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة، 1407هـ/1987م. ص:1327.

47- ابن العربي، سراج المريدين، مخطوط القاهرة، ورقة:57. طالبي، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، ص:87.

48- مليكة حميدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين (448-541هـ/1056-1146م)، رسالة ماجستير مخطوطة، إشراف، د. صالح بن قربة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1423هـ/2002م. نوقشت يوم الأربعاء، 13 ذو القعدة، 15 يناير 2003م. ص:56. محمد إحدادن، المرأة في الأدب الأندلسي، جامعة حلب، (رسالة لم أوفق في

الحصول عليها) وهي في 218 صفحة رقمها بالمكتبة الجامعية، جامعة الجزائر المركزية:-70013
1974-2.

49- أحمد خواجه، الآداب التعاملية في فكر الغزالي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر
والتوزيع، 1406هـ/1986م. ص:66. إداور بروى، القرون الوسطى، المجلد الثالث،
ص:224.

50- ابن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، ص:250. حميدي، المرأة المغربية في عهد
المرابطين، ص:63.

51- ابن الأبار، تحفة القادم ص:218-219. ابن سعيد المغربي، المغرب في حُلي المغرب،
القسم الثاني، ص:164.

52- عبد العزيز بن عبد الله، المرأة المراكشية في الحقل الفكري، 267. وحفصة الركونية أدركت
الموحدين وهي شاعرة مبدعة، تعلق بها الأمير الموحد أبو سعيد. وهي القائلة:

أزورك أم تزور فإن قلبي***إلى ما اشتهي أبداً يميل

سيمون الحايك، ابن مردنيش أو الموحدون، ص:126. بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي،
ص:127-128.

53- الريسوني، الشعر النسوي في الأندلس، ص:90 وما بعدها.

54- ابن سعيد الغرناطي، المغرب في حلي المغرب، الجزء الثاني (طبعة 1997م)، ص:95-

96. المقري التلمساني، نفح الطيب، الجزء الرابع، ص:289. إحسان عباس، تاريخ الأدب

الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ص ص 266-279. إميليو غرسية غومث، ابن قزمان
..صوت في الشارع(شعراء الأندلس والمنتبي)، ص:151 وما بعدها.

55- المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الجزء الأول ، ص:192-
193.

56- أبو بحر صفوان بن إدريس التحجيبي المرسي، زاد المسافر، ص:118
57- نفسه، ص:118

58- أبو بحر صفوان بن إدريس التحجيبي المرسي، زاد المسافر، ص:118. سلطاني، اتجاهات
الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس، ص:181. بالثيا، تاريخ الفكر الأندلسي،
ص:125.

59- أبو بحر صفوان بن إدريس التحجيبي المرسي، زاد المسافر، ص:117
60- نفسه، ص:118

61- الجيلاي سلطاني، اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس، ص:93
62- محمد الحداد، حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحية العربي، بيروت، دار الطليعة، فبراير،
2002م. ص:156.